**جامعة عبد الرحمان ميرة** **المقياس: نقد أدبي قديم**

**كلية الآداب واللغات**

**قسم اللغة والأدب العربي** **أ. شيبان سعيد**

**المجموعة الأولى**

# أثر اللغويين في تطور النقد الأدبي القديم

## 1) تمهيد:

لم تتحدّد معالم النقد الشعري القديم إلا بظهور اللّغويين والرّواة الذين اشتغلوا على استنباط قواعد صارمة يسير عليها الأدباء والشعراء، فراح علماء اللّغة يضبطون الأصول والقواعد التي من شأنها ضبط اللغة السليمة؛ فأسسوا لتوجه نقدي يهتم بالشكل اللّغوي في كل مستوياته النحوية والصرفية والمعجمية والصوتية والدلالية والبلاغية، فساهموا في "تأسيس نقد قائم على الأسس العلمية، بعد أن ظل لفترة طويلة حكرا على الأدباء والشعراء والرواة المتذوقين"[1].

## 2) تعريف النقد اللغوي:

هو نقد يشتغل على اللغة والأسلوب والتراكيب والبناء وصولا إلى استنباط القواعد والآليات التي تتحكم في الصياغة اللغوية للإبداع الشعري.

## 3) دواعي ظهور النقد اللغوي:

عرف القرن الثاني للهجرة ظهور طائفة من اللغويين، اتخذت موقفا مناهضا ومعاديا للشعر المُحدث الذي كتبه شعراء تميزوا عن سابقيهم بجملة من السمات تعود أساسا إلى اختلاف الرؤية في النظر إلى الوجود والحياة والإنسان.

[1]- قصي الحسين، النقد الأدبي ومدارسه عند العرب، ط1، دار مكتبة الهلال، بيروت-لبنان، 2008، ص70.

وقد عكف علماء اللغة على جمع الشعر ومُدارستِه بسبب شيوع ظاهرة اللّحن على ألسنة الأعاجم (الموالي، الفرس)، فبدأت السليقة العربية تبتعد شيئا فشيئا عن فصاحتها، وامتد اللّحن والفساد اللغوي إلى العرب أنفسهم نتيجة مخالطتهم للعناصر الأعجمية، مما حدا باللغويين والنحاة إلى جمع أشعار العرب وألفاظ اللغة العربية من باطن شبه الجزيرة العربية (ما بين نجد وجبال الحجاز حيث قبائل أسد وتميم وبعض قبائل قيس)، وبالمقابل رفضوا أشعار و لغة سكان الحواضر التي كانت تجاور سائر الأمم الأعجمية. وكان علماء اللّغة يتقصّدون وراء ذلك تحقيق غايتين، وهما:

- الغاية الأولى: تقويم ألسنة الناس والشعراء وحثهم على اكتساب السليقة اللغوية السليمة.
- الغاية الثانية: جمع الشواهد الشعرية الفصيحة (السليمة من اللّكنة واللحن) الجارية على ألسنة الشعراء العرب الفصحاء في البادية، والذين كانوا في عزلة عن المؤثرات الحضارية.

ولهذا انبرى علماء اللّغة الترحال إلى نجد والبوادي، ليجمعوا اللغة والأشعار من ينابيعها الأصلية "فمضى كثير من علماء البلدتين (البصرة والكوفة) وتلاميذها في بغداد، إلى مشافهة الأعراب وسماع الأقوال والأشعار منهم"[2].

فالناقد اللغوي كان يهمه حماية اللغة العربية من كل الشوائب والتحريف والفساد، وتصفية ألفاظها من الدخيل، وبالمقابل لم يُعر اللغويون اهتماما لبنية القصيدة وخيال الشاعر، واكتفوا بالتركيز على سلامة اللغة ومتابعة مواطن الأخطاء، والتحقّق من صحة الاستعمال في اللغة والنحو والصرف.

### 3) جهود علماء اللغة في توجيه النقد اللغوي:

[2]- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ط2، دار المعارف، مصر، 1972، ص142.

***عبد الله بن إسحاق الحضرمي (ت205هـ):** يعدّ من أوائل نحاة البصرة الواضعين الحقيقيين لعلم النحو. كان عالما بكلام العرب، عُرف بعدم تسامحه مع الشعراء ويفرض عليهم رقابة لغوية. كان كثير التعرّض لشعر الفرزدق.

***عنبسة بن معدان الفيل (ت100هـ):** من العلماء الذين حكموا مقاييس اللغة والنحو في الحكم على الشعر ونقده، فلم يكن مهتما بعذوبة الأشعار وجمالها الفني، بقدر ما كان حريصا على مطابقة لغة الشعراء لأصول اللغة العربية وقواعد النحو.

*أبو عمرو بن العلاء (ت154هـ): كان ناقدا لغويا بامتياز، كما كان يتمتّع بحس نقدي وثقافة لغوية، كما كان مشهورا في علم القراءة، وكان ضليعا بعلم العروض والأخبار.

***يونس بن حبيب** (ت182هـ): تتلمذ على يد أبي عمرو بن العلاء. كان كثير النقد للشعراء، فاهتم بالجوانب اللغوية في الشعر، فاتبع سقطات (أخطاء) الشعراء(خاصة الذين خاطوا الحواضر) وعاب عليهم بعض الألفاظ الدخيلة.

***خلف الأحمر (ت180هـ):** كان حريصا على سلامة التراكيب والمفردات، كما كان يصحح بعض الظواهر اللغوية في الشعر كالتكرار المستقبح،والدخيل على اللّغة العربية.

***الأصمعي (ت210هـ):** كان ناقدا لغويا فذا متعصبا لكل ما هو قديم وجاهلي. كان حريصا على سلامة اللغة والأساليب والصياغة والعروض.

**4) إسهامات اللغويين في تطور النقد الأدبي القديم**

- تبيان الجوانب الفصيحة من الألفاظ والتراكيب في الشعر، و تمييزها عن الشعر غير الفصيح، والفصاحة تكون في النطق ومخارج الحروف والابتعاد عن الإسفاف والركاكة في التعبير.

- مكّن النقد اللّغوي من تحديد موطن القبائل الفصيحة، كما أثّر في استبعاد بعض اللّهجات بسبب قلة فصاحتها، وفساد السليقة وتفشي اللّحن فيها، وكان علماء اللغة يتخيّرون القبائل البدوية في نقل الأشعار والكلام، إذ كان علماء البصرة يفخرون عن الكوفيين بكونهم "يأخذون اللغة عن آكلة الضّباب واليرابيع، في حين يأخذ الكوفيون عن أكلة الشواريز وباعة الكواميخ"*[3]
- مكن النقد اللغوي من وضع قواعد وضوابط الكلام الفصيح والعبارات الصحيحة، فصُححت الكثير من الأشعار بسبب إرساء اللّغويين لمنهج جديد قائم على التمحيص والتدقيق في جميع مستويات اللغة.
- سمح النقد اللغوي بظهور الصراع بين اللغويين والشعراء، مما أخضع العديد من النصوص للنقد والتحليل والدراسة، فتباينت وجهات النظر بين اللّغويين والشعراء (راجع الصراع الذي كان قائما بين الفرزدق وعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي).

فالشاعر لا يكترث بالتجاوزات اللغوية والنحوية والعروضية(يجوز للشاعر ما لا يجوز لغيره)، بقدر ما يسعى إلى إبراز قدراته وميولاته، والإفصاح عما تخبّئ نفسيته من مشاعر ومكبوتات، في حين لا يهم عالم اللّغة سوى التحقق من حسن استعمال الشاعر للّغة والنحو والصرف.

- كان النقد اللّغوي عاملا أساسيا في ظهور **قضية القديم والحديث**، وهي من أشهر القضايا الكبرى في النقد الأدبي القديم. فبمجرد انحراف الشاعر القديم عن المقومات التي سطرها علماء اللّغة(عمود الشعر)، يسقط من دائرة الاحتجاج ولا يُعد فحلاً4 ويصنّف في الدرك الأسفل من الطبقات.

[3]*- آكلة الضباب واليرابيع إشارة إلى سكان البادية، وآكلة الشواريز وباعة الكوامخ إشارة إلى سكان الحواضر.